الأنباء
السبت 30 يوليو 2016

الكثيرون من الكويتيين عملوا قديما في التجارة وكانت مصدر رزقهم. ضيفنا هذا الأسبوع حيدر غلوم غضنفري يحكي لنا لمحات من ماضي الكويت تؤشر إلى هذه الحقبة المضيئة المليئة بالكفاح والعمل والمثابرة من أجل لقمة العيش. يقول إن الكويتيين بنوا مناطقهم السكنية وأسسوها بحيث تكون قريبة من البحر لأنه كان مصدر الرزق الأول والرجال يعملون على ظهر السفن الخشبية الشراعية. جده ومن بعده والده وعمه امتهنوا العمل التجاري وبرعوا فيه حتى إن الوالد كون ثروة رغم أنه كما يقول لا يجيد القراءة والكتابة. يحدثنا خلال هذا اللقاء عن حياته منذ الطفولة ومشوار التعليم وكيف سار في درب الدراسة حتى أنهى دراسته. يتطرق إلى السكن في شرق ثم السالمية والأنشطة مع الأصدقاء أيام الطفولة والدراسة. ويذكر قصة والده وعمه مع شريكهما الإيراني الذي سرق بضاعتهما، وكذلك يروي ماذا فعله والده عندما جاءه أعضاء رابطة مشجعين حتى يوقع على عقد لعبه لناديهم. كل هذا الحكايات والمزيد من التفاصيل في السطور التالية:

أجرى الحوار: منصور الهاجري ـ كاتب وباحث في التراث والتاريخ ومقدم برامج في الإذاعة والتلفزيون

حيدر غضنفري:

الوالد وعمي اضطرا لبيع بيت العائلة ليسددا أموال التجار بعد أن سرق شريكهما الإيراني بضاعتهما

حيدر غلوم علي غضنفري

بيت جدي كان كبيراً وفيه ديوان لاستقبال الضيوف لأنهم كانوا يشتغلون بالتجارة وبيت الوالد فيه بركتا ماء

انتقلنا إلى السالمية عام 1958 وكانت المنطقة شبه خالية من البيوت والسكان

كان الوالد دائماً في الخارج يذهب إلى أفريقيا للتجارة وعمي يتواجد في الكويت يدير تجارة العائلة

أبي أسس مقهيين مع عمي لتقديم الشاي واللومي و«القدو» وألعاب التسلية ثم فتحا مصنعا لـ «الدندرمة»

وثيقة شراء أرض في السكة العودة بمنطقة شرق سنة 1363 هجري من قبل شعبان وغلوم غضنفري تم وقف الأرض لبناء مسجد

يحكي ضيفنا حيدر غلوم غضنفري في بداية اللقاء عن المنطقة التي ولد فيها والظروف التي كانت سائدة حينها قائلا: ولدت في منطقة الشرق وعرفت فيما بعد بحي العاقول «السكة العودة» كان بيت العائلة قرب مسجد شعبان، وبعد سنوات من عمري وانا طفل صغير الوالد والاعمام باعوا البيت، وعندنا مسجد باسم العائلة، وتوفي جدي ووالدي وعمي صغار السن، ويوجد حوطة كبيرة وكانوا يقولون لنا ان هذه الحوطة فيها جن. بيت جدي كبير وفيه ديوان لاستقبال الضيوف لأنهم كانوا يشتغلون بالتجارة وفي البيت غرفة كبيرة فوق السطح فيها جميع الفرش، بمعنى انها مخزن، وديوان كبير ومن بعده البيت العود بيت العائلة وبيت للحيوانات والدجاج و بيت الوالد فيه بركتا ماء الاولى داخل بيت الحرم والثانية في حوش الخدمات وفيه حوض ماء للغسيل.

بيع البيت

ويستطرد ضيفنا قائلا: الوالد وعمي باعا البيت الكبير لظروف تجارية، كان الوالد وعمي يعملان بالتجارة في سوق الكويت وهم معروفون عند تجار السوق، ودخل معهم شريك ايراني، واثناء العمل معهم سرق منهم مبلغا كبيرا من المال من الروبيات، وكانت السرقة بضائع مشحونة من الكويت الى ايران، فادعى ان الحكومة الايرانية صادرتها، لكن اكتشف امره بأنه سرقهم والله حاسبه ومات هو وزوجته واولاده.

نرجع الى التجار الذين يعملون مع الوالد بالسوق، فقالوا انهم يريدون اموالهم، فلذلك الوالد وعمي باعا البيت وسددا للتجار، بمعنى اشتريا حياتهما لكي لا يقال عنهما سرقا وتمت الحالة بالبيع، والوالد مع عمي اشتريا بيتا واربعة بيوت صغيرة وثلاث سفن خشبية، كلها بيعت وسددوا جميع المبالغ، وذات يوم دخل عليهم المرحوم يوسف الفليج بالدكان وقال لهم كل من له حقوق اعطوه ورقة صغيرة للاثبات وانا مستعد ان اسدد لكم.

وتابع: منذ عام 1958 انتقلنا الى السالمية قطعة 13 شارع عمان، وكانت المنطقة شبه خالية من البيوت والسكان، فقط بيوت قليلة، وكان يسكن المنطقة الشيخ سعود الصباح خلف المطافئ.

كان الظلام يخيم بالليل وكان يوجد برجان في البيت لحفظ الفرش والعشاء فوق السطح بالليل، والبرج له اشارة عمود فيه ضوء يرشد الضيوف، وعشت طفولتي بالسالمية وهذا حببني في التاريخ، كان الوالد دائما في الخارج يذهب الى افريقيا للتجارة وعمي يتواجد في الكويت يدير تجارة العائلة، وكان يذهب الى البحرين والبصرة والمحمرة ينتقل من مكان لآخر للتجارة وكسب

حيدر غضنفري خلال اللقاء مع الزميل منصور الهاجري (ريليش كومار)

الرزق، ووصل الى اليمن ودبي والى زنجبار للتجارة والبيع والشراء.

المقاهي

يتحدث عضنفري عن نشاط آخر مارسه الوالد بجانب التجارة، حيث يقول: الوالد وعمي اسسوا عدد اثنين مقهى بالسوق، الاولى اشتراها من الرفاع، والثاني بسوق الدعيج مقابل ساحة ماء السبيل لعائلة الدعيج هذه القهوة الثانية ويديرها كويتيون يبيعون الشاي واللومي والقد و«شيشة» اما المقهى الاول ايضا فكان فيه العاب للتسلية للكبار المحيبس واللعب يخفون الخاتم بأي مكان ويتم البحث عنه في مقهى الرفاع الذي اشتروه في آخر سوق الغربللي والعمال من الكويتيين وبعد سنوات الوالد وعمي افتتحا لهما مصنع الدندرمة (الايسكريم) مقابل البنك الوطني القديم وكانا يبيعان يوميا والسوق مستمر وكثير من الناس وخاصة في الصيف.

وبعض بيوتنا حولوها الى مصنع لطحن الحبوب والوالد مسؤول عن تلك الماكينة والعمل عليها واعتقد انها الماكينة الثالثة لطحن الحبوب في الكويت لان الوالد

والدي رفض التوقيع على عقد لعبي في نادي السالمية خوفاً على مستقبلي

كان من بين جيراننا في السالمة بيت «أبو طيارة» وكان صاحبه يضع نموذجاً لطائرة على السطح

عندي حسابات على «الفيسبوك» و«الإنستغرام» و«تويتر» وأهتم بشدة بالتراث الخليجي

يحب الاشياء الفنية مع العلم انه لا يقرأ.

وعندهم في السوق الداخلي مقابل خاجة ومقابل اول مكتبة لصاحبها محمد وعلى اليمين شاكر الكاظمي ومحل عبدالرسول فرج وسوق اليهود وقيصرية خليل القطان تعرف بسوق اليهود وهي اول قيصرية بالكويت وكتب عنها الشاعر فهد بورسلي:

«يا هل الشرق مروا بي على القيصرية».

وبعدها بهيته عند الوالد محل وكاركة عبدالهادي جمال واشتراها خليل القطان.

هناك المحل لبيع الشاي والعيش (الرز)، وبداية عملهم بالزل عندهم محل لبيع السجاد الايراني من اوائل المحلات واستأجر محلا اخر في عمارة راشد الفليج مقابل مسجد الحداد، وكانت الحكومة يستأجرون بعض السجاد.

بداية حياة عمي ووالدي عملهم بالتجارة واذكر عندما كنت في مرحلة الشباب نساعد العمال.

السكن بالسالمية

عن الانتقال الى السكن في منطقة السالمية يقول غضفري: انتقلنا الى السالمية وكانت البيوت قليلة جدا وبالقرب من منزلنا مزرعة الشيخ ناصر الصباح وساحة كبيرة وبعد ذلك عائلة كنا نعرفهم ببيت ابو طيارة لانهم وضعوا نموذجا لطائرة فوق بيتهم وبعد ذلك سكنوا عائلة قبازرد وبيت العماني وكان ايام العطل ابوهم يركب خيل ويتجول بالمنطقة وبيت باش وبيت الشماع.. وبيت العبدالسلام، وعندهم اولاد بنفس العمر وكنت العب معهم، ومن اصدقائي مجموعة من الاولاد وكنا مجموعة ومعي وليد البابطين حارس نادي السالمية بالسابق، وزاد عدد البيوت منذ بداية الستينيات.

الدراسة والتعليم

يتطرق ضيفنا الى مشواره التعليمي وكيف سارت الامور بالقول: قبل الدراسة مع بعض الاصدقاء بالحي كنت ألعب كرة القدم وخاصة عندما كنا نسكن السالمية وكان دوري بفريق المنتصر حارس المرمى طبعا كنا صغار بمرحلة الشباب وفريق النصر تأسس من ابناء المنطقة وكنت مع بعض اللاعبين الذين وصلوا الى المنتخب منهم محبوب جمعة وسعود بو حمد والمرحوم حسين معروف وابناء ديكسن منهم محمود واخوانه ومحمد عبدالله حاليا مدرب نادي الكويت قطعة 13 أو قطعة 9 و10 ولعبت كرة السلة ومعي علي البحر والشطي واحمد العصفور، وكذلك شاركت بفريق اليد ولعبت مع اولاد عنبر.

اول مدرسة التحقت بها مدرسة الرازي بالسالمية تقع مقابل ساحل البحر وكنا مجموعة كبيرة من الشباب ولمدة اربع سنوات والناظر مصري واذكر ان الفصل يكتب عليه لوحة مثلا اولى حمامة اولى دجاجة وهكذا لوحة رسم، مستواي متوسط، الوالد لا يقرأ ولا يكتب مع ذلك كوّن ثروته بشطارة وهو رجل عصامي.

فكتبت المراجع ودروسي بنفسي من دون مراجعة من الموالد أو الوالدة لأنهما لا يقرآن ولا يكتبان، ولكن الوالد يعرف بعض الكلمات من ممارسته العمل التجاري بالسوق، مثلا يتكلم سواحلي،

حيدر غضنفري اثناء التدريب في بر كاظمة سنة 1972

وواصلت الرياضة والألعاب، ومن الرازي إلى السالمية المتوسطة، والوالد عنده سيارة «بوكس» يقودها السائق فنذهب مع أصدقائنا بسيارتنا ونمر على عشيش السالمية، وبناؤها غير منظم على طريقة الزقزاق، حتى الصيهد، ونصل الى المدرسة، نلعب بالسالمية كرة اليد والمدرب مصري. وأذكر ان اللاعبين كانوا من نادي السالمية وأذكر منهم معين وأحمد مختار وعنبر مرزوق بشير كان يلعب بالثانوية، وبعد ذلك انتقلت الى مدرسة ثانية ومدرس الرياضة الاستاذ حسن كرم وهاشم الناظر ومحمد احمد كان لاعب السالمية وبعد ذلك صار مدرب قدم والأستاذ محمد الخضري حضر عندنا كمدرب ميداني وكنت أمارس الرياضة في الفريج، وأذكر الأستاذ مهدي الحسيني وثابت فلفل، وانتقلت إلى الرميثية ولعبت مع حمد بوحمد في المتوسطة والثانوية بالقدم، ولعبت السلة والطائرة وبعد ذلك انتقلت الى الثانوية ولعبت مع سعود بوحمد.

وأذكر اننا في أحد الأيام خرجنا بمظاهرات طلابية وكنت في ثانوية الرميثية والناظر الأستاذ عبدالله اللقمان ومعنا مدرسون وفي تلك السنة لعبت كرة القدم مع فريق المدرسة وكان معنا بالفصل محبوب جمعة قيصر وحسين ناصر، وفي يوم من الايام حضر عندنا الى المنزل حيدر جمعة وفهد عبدالكريم رئيس رابطة المشجعين، وخرج الوالد لهم وطلبوا من الوالد ان يوقع على أوراق المقصد منها التوقيع عليها لتسجيلي لاعب كرة قدم بنادي السالمية والوالد رفض وقال لهم ابني حيدر لا يلعب بالنادي حتى يكمل تعليمه الثانوي، وأصدقائي استمروا باللعب واكملت تعليمي الثانوي وحصلت على الشهادة بنسبة لا تؤهلني للجامعة.

قدمت أوراقي بالجيش وتم قبولي ولكنني لم أذهب، وبعد ذلك ذهبت للداخلية وسجلت اسمي وتم استدعائي ولكنني ايضا لم اذهب لهم.

المعهد التجاري

عن التحاقه بالمعهد التجاري بعد الثانوية العامة يقول ضيفنا: كنت من أوائل الطلبة الذين سجلوا بأول دفعة في المعهد التجاري في حولي، واستمررت بالدراسة حتى أنهيت دراستي وحصلت على دبلوم حاسب آلي بعد الثانوية.

وكنت من أول الدفعات، وأذكر منهم عبدالله دعيج علي الدوخي وحمد العجمي وعادل الهزيم ومنصور الموسى وعبدالله الحماد وراكان العجمي وخالد شمان وجمال عبدالاله ومحمد الرومي واحمد البناي وناجي البسام وعبدالصمد صفر ووليد بورسلي ومحمد النصف وعبداللطيف العليوة ومحمد الفرحان وجمع غفير من الطلبة الذين تخرجوا من